الفصل الرابع

- والدفع الذاتى الى تحقيقها .
المجتمع الاسلامى قام على الايمان بالمثل
- المجتمع الاسلامى قام على الاقرار بلوجود المشترك ورعاية الحرمات الفردية .
- المجتمع الاسلامى قام على أساس التعاون.
- المجتمع الاسلامى قام على رعاية الطبيعة البشرية للأفراد .
- المجتمع الاسلامى كيانه مبادىء ، وأرضه ليس فيها فواصل .
- المجتمع الاسلامى لغته العربية .
- المجتمع الاسلامى فى علاقته بالمجتمعات الأخرى .
- المجتمع الاسلامى ليس مجتمع طوائف .
- المجتمع الاسلامى ليس مجتمع طبقات .

المجتمع الإسلامى قام على الإيمان بالمثل والدفع الذاتى إلى تحقيقها

يتحدث كثير من المؤرخين عن المجتمع الإسلامى وأنه أول ماقام، قام بالمدينة بعد أن هاجر الرسول ﷺ وصحابته من أهل مكة إليها ، واختلطوا بالأنصار وهم المدنيون الذين آووا ونصروا إخوانهم المهاجرين إليهم .

يتحدث المؤرخون عن قيام المجتمع الإسلامى على هذا النحو .وحجتهم فى ذلك : أن المبادىء التى نظمت المجتمع الإسلامى ، وحددت علائق أفراده بعضهم ببعض ، نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة .

والرأى ، أن المجتمع الإسلامى قام منذ اللحظة الأولى الدعوة الإسلامية فى مكة . لأن من الأسس الرئيسية فى قيامه الإيمان بالله وحده ، والإيمان بالمثل العليا فى حياة الإنسان . ودعوة التوحيد شغلت الفترة الأولى من فترات الكفاح فى سبيل الدعوة الإسلامية ، وقد كانت تلك الفترة فترة كفاح المسلمين بمكة ، قبل أن يهاجروا إلى المدينة .

وإذا ذكرنا أن المجتمع الإسلامى قام على الإيمان بالله والإيمان بالمثل — فنذكر ذلك لأن هذا الإيمان نفسه هو الحافز على السلوك المستقيم للأفراد ، وعلى حسن العلاقات والمودة فيما بينهم . وليس هناك مجتمع إنسانى يقوم ويتحدث المؤرخون عن قيامه ، وليس بين أفراده هدف مشترك ولا حسن علاقة وترابط فى سبيل تحقيق هذا الهدف المشترك .

ونضال المسلمين — وهم بمكة — فى سبيل دعوة التوحيد ، وكفاحهم المرير ضد الشرك طوال ثلاث عشرة سنة — يوضح إلى أى مدى : قيمة الإيمان بالله وحده كهدف مشترك بين المسلمين الذين آمنوا بدعوة الرسول عليه الصلاة

والسلام، منذ أن دعا إلى الإسلام سراً ثم جهراً بعد ذلك، كما يوضح إلى أى مدى أنه بسبب هذا الإيمان وحده لاحتاج المؤمنون إلى دفع خارجى عن ذواتهم نحو العمل بما يحقق نتائج هذا الإيمان فى حياة الإنسان سواء كان فرداً أو مجتمعاً .

والمجتمع الإسلامى إذن يتميز فى قيامه لا بمطلق الإيمان والاعتقاد ، وإنما بالإيمان بوحدة الألوهية ، وقصر استحقاق العبدة على الله جل شأنه لاشريك له فى ذلك . لأن كل مجتمع إنسانى — إذا قام — إنما يقوم على إيمان بأمر ما، ثم يتميز عن مجتمع آخر بموضوع الإيمان ، وبالأمر الذى يلتف حوله المؤمنون به فى المجتمع .

قام مجتمع المسلمين حينئذ من أول الأمر على هدف مشترك : هو الإيمان بالله وحده . وما جاء بعد ذلك من تفصيلات وحدود فى علاقات الأفراد بعضهم ببعض مما أتى به الوحى المدنى فى القرآن الكريم ، إن هو إلا تفريع على هذا الهدف المشترك ، وفى الوقت نفسه تخطيط مفصل لتحقيقه . ولم يزل هذا الإيمان بالله وحده هو هدف المسلمين فى حاضرهم كما كان هدفهم فى ماضيهم ، منذ بداية الدعوة الإسلامية . ولم تزل العبادات التى فرضها الإسلام ، والحدود التى رسمها للمعاملات فى وقتنا الحاضر تفريعات على هذا الأساس الرئيسى .

لو أردنا أن ننظر الآن إلى العبادات فريضة بعد أخرى لنبين هذا القول لوجدنا أن كل فريضة منها لا يتجه بها الإنسان إلا لمعبود واحد هو الله سبحانه وتعالى . ولا يخشى فى أدائه إياها إلا ذاك المعبود الذى لا شريك له . وفى الوقت نفسه ، كل فريضة من فرائض العبادات بعد ذلك تسهم بنصيب فى تحقيق المثل التى رسمتها رسالة الإسلام فى حياة الإنسان وفى علاقته بغيره فى المجتمع . فالصلاة فريضة يخلو فيها الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى يناجيه ويدعوه بالتكبير والاجلال والعظمة ، حتى يمتلىء قلبه بالخشية منه ، وبجلاله وبعظمته . وهنا ، إذا امتلأ القلب بهذه المعانى ، تصرف الإنسان وسلك فى حياته المسلك المستقيم الذى يترفع به عن

الدنايا وعن الفواحش والمنكرات : « أتل مَا أُوحِي إليكَ مِنَ الكِتَابِ ، وأقِم الصَّلاةَ ، إنَّ الصَّلاة تَنهى عَنِ الفَحشَاء وَالمنكر ، ولَذكر الله أكبَرُ ...[1] » . وكذلك الشأن فى أداء فريضة الصيام : فأداؤها كما ينشأ عن إيمان بالله ، وعن خشية منه ، فإنه فى الوقت نفسه يحمل الإنسان على سلوك الصراط السوى الذى ينمى العلاقة فيما بينه وبين غيره فى مجتمعه . وعلى هذا النحو ، أداء فريضتى الزكاة والحج . فأساس أدائهما : الإيمان بالله والخشية منه ، وأثرهما العملى بعد ذلك فى حياة الإنسان هو قوة الترابط ، وحسن العلاقة بين الأفراد فى المجتمع .

وعن هذا الإيمان بالله نفسه ، يصدر المؤمن أيضاً فى معاملاته المدنية والتجارية ، وفى علاقته الزوجية والأسرية ، فلا يتصرف ولا يسلك إلا سلوكاً محققاً للتعاليم وللمثل التى جاءت بها رسالة الاسلام بعد لا إيمان بالله .

وهكذا يتبين لنا أن الإيمان بالله وحده هو أساس قيام المجتمع الاسلامى فيما مضى ، وسيظل أساسه فى حاضره . وعن هذا الايمان تتحقق أهداف المجتمع الاسلامى من قوة الترابط وحسن العلاقات بين الأفراد ، وحسن الاستعداد والاعداد للدفاع عن الحق و المثل العليا . وفروض العبادات بعد ذلك وظيفتها المباشرة : تأكيد هذا الايمان من جانب ، وتحقيق المثل الانسانية فى حياة المجتمع الاسلامى من جانب آخر . وشعارنا فى الماضى — هو شعارنا فى الحاضر : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

---

(١) العنكبوت : ٤٥

المجتمع الإسلامى قام على أساس الاقرار

بالوجود المشترك ورعاية الحرمات الفردية

لا يتحقق مجتمع بشرى على رقعة ما فى هذه الأرض ، إذا ركز الأفراد تفكيرهم فيما يحفظ على كل واحد حياته الخاصة ، وفيما يصون وجوده الضرورى فحسب . لا يكون هناك مجتمع إنسانى بحال من الأحوال ، إذا كان كل فرد يعتبر نفسه عالماً مستقلا عن غيره، يجول فيه حراً طليقاً ، ودون أن يرعى حياة هؤلاء المشاركين له فى الوجود .

وجود أى مجتمع بشرى معناه قيود والتزامات يتبادلها أفراده . معناه واجبات تؤدى ، وحقوق تؤخذ . معناه تبادل المعاونة فى السلم ، والتكتل عند مقاومة أى دخيل أو درء أى خطر خارجى . وهذا يستلزم قيام المجتمع الوعى بين الأفراد بالوجود المشترك الذى يظلل حياتهم جميعاً .

والاسلام فى رسالته جاء ليوقظ فى نفوس المؤمنين الشعور بهذا الوجود المشترك . ووسيلته إلى ذلك : أنه جعل لكل فرد من أفراد المؤمنين حرمة تراعى وحدد له حقاً يؤدى ، وفرض عليه واجباً يقوم به إزاء غيره .

ولو قرأنا قول الله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون »

... لو قرأنا هـذه الآية لوجدناها تحدد معالم الوجود المشترك بين أفراد المجتمع الإسلامى ، وتجعل لكل فرد فيه مكانه ، ووضعه ، ومأمنه فى الحياة من أن يعتدى عليه من غيره فى نفسه ، أو فى عرضه ، أو فى ماله ، أو فى أن يسقط حقه فى الحياة بسبب ضعفه لصغره ، أو وهنه بشيخوخته .

فمنع الاعتداء على العرض بقوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن» .. ومنع الاعتداء على النفس بقوله : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » .. ومنع الاعتداء على المال بطلبه إيفاء الكيل والميزان بقوله : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط» .. وأمن الضعيف على حياته وماله بقوله : «وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » .. وفى قوله : «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن» .. ثم بجانب هذا وذاك ، أمر المؤمنين عامة بأن يكون قولهم وقضاؤهم لا يرعون فيه إلا الله ، وإلا الحق وحده : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى» .. كما يأمرهم بالوفاء بالعهد إذا كان عهداً فى سبيل الخير ، وفى سبيل الله : «وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » .

وهذا الذى حدده القرآن الكريم للوجود المشترك بين المؤمنين سماه صراطاً مستقيما ، يجب سلوكه واتباعه ، ويجب تجنب ماعداه من سبل وطرق أخرى ، إذ كان به للمجتمع : استمرار فى البقاء ، وصفاء فى علاقات الأفراد ، ووحدة فيما بينهم وقوة لاتضعف فى مواجهة غيرهم ، فقال : « وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» .. أى تتقون الله فيما تسلكون ، وتتجنبون المخاطر وموارد التهلكة . . ليست هى إلا الفرقة والخلاف والفردية والأنانية .

هذه هى المعالم التى يجب أن تدور فيها حياة المؤمنين بعضهم مع بعض ، ويتصرف فى نطاقها كل واحد مع الآخر . وهى معالم — كما ترى — لاتقوم على

عدم الاعتداء فحسب ، بل تتطلب أيضاً العون المتبادل لا فى الاعطاء فقط ، وإنما فى عدم الاستغلال فى أية صورة من صور الاستغلال .

وهى فى واقع الأمر معالم للمجتمع الانسانى الذى يريد أن يحيا سعيداً ، ويعيش قوياً . فالإنسانية فى صورتها الحقيقية ما هى إلا معاونة ، وأخوة ، ومحبة بين الأفراد ، وليست أكثر من سيادة على أنفسهم ، تمكيناً لهذه المعاونة ، ولهذه الأخوة بينهم جميعاً .

والناس لا يفقدون المعاونة فيما بينهم ، فضلا عن فقدانهم المحبة والأخوة إلا إذا تمكنت فيهم الفردية والأنانية ، وضعف فيهم الشعور بمعنى المجتمع ، وهو الشعور بالوجود المشترك ، والوعى لهذا الصراط المستقيم الذى أشار إليه القرآن الكريم .

رسالة الإسلام للمجتمع هى رسالة الانسانية ، ورسالة السلام وعدم الاعتداء ، ورسالة القوة والسيادة ، ورسالة الاطمئنان والاستقرار ، ورسالة الترفع عن الوحشية والحيوانية ، ورسالة التهذيب . إنها رسالة الأمان والتأمين : الأمان ضد الاعتداء .. والتأمين على حياة الانسان .

ونحن أحوج ما نكون اليوم إلى تنمية الشعور والوعى بالوجود المشترك بيننا ، فى حدود المعالم التى رسمها القرآن الكريم ، وعلى أساس من صراط الله المستقيم .

المجتمع الاسلامى قام على التعاون

إنه لا يكفى فى قيام المجتمع البشرى ، وفى بقائه أن يعترف الإنسان بوجود غيره معه ، وأن يترك له مجالا يمارس فيه السعى ، محافظة على وجوده وحياته ، لا يكفى أن يراعى حرمته ، فلا يعتدى عليه فى نفسه ، أو فى ماله ، أو فى عرضه . لأن الفرد وحده لا يستطيع بإمكانياته الخاصه أن يحقق لنفسه الاكتفاء الذاتى فى حياته وفى وجوده معاً . وقد تكون إمكانياته الخاصة محدودة بسبب ضعفه لصغر سنه أو مرضه أو شيخوخته ، أو بسبب جهله السبيل الأوفق التى يلائم بها بين الظروف التى يعيش فيها مجتمعه وبين ضرورات وجوده ، أو بسبب فقره وقلة ما يتكسبه منه . وعندئذ يكون عجزه عن أن يفى بحاجات نفسه أوضح .

لهذا كان من الضرورى — لبقاء المجتمع — أن يكون هناك ميل لمعاونة الإنسان غيره فى المجتمع الذى يعيشان فيه معاً ، وأن يقوى هذا الميل إلى المعاونة فى نفس كل منهما بحيث يصبح ذا مظهر عملى فى حياتيهما ، بحيث يكون بينهما تعاون ، وبحيث ترى آثار هذا التعاون فى سد حاجة كل منهما .

ولا تنحصر حاجة الفرد فى حياته إلى المال أو إلى تيسير العمل عليه حتى يحصل على المال ، يدبر به شأن نفسه فى الغذاء واللبس والمسكن . بل قد تكون حاجته أشد إلى المعرفة أو النصح يستنير به فى طريق الحياة ، أو إلى دفع الإيذاء والمكروه النفسى أو البدنى ، أو إلى دفع المرض ، كى لا تكون هناك عقبة فى خط سيره فى مجتمعه . وهناك تكون جوانب التعاون متشعبة ، لا يسدها تعاون فرد مع فرد على حدة . وإنما ينهض بها على الوجه الأكمل جميع الأفراد الذين يكونون مجتمعاً خاصاً بهم ، كل بما يستطيع أن يقوم به . وعندئذ يمكن لكل فرد فى هذا المجتمع أن يرى أنه قد حصل على العون الذى يمكنه من أن يعيش ، ومن

أن يحقق لنفسه مطالب الحياة الإنسانية الكريمة . وهى تلك الحياة التى لا يستذل فيها الإنسان ولا تبخس قيمته ، أو تهدر آدميته ، من أجل المحافظة على البقاء .

ولأن التعاون له هذا الأثر الحيوى — سواء فى محافظة الإنسان على حياته المادية أو على حياته الإنسانية — لقى رعاية من الإسلام ، مما جعله مظهراً من مظاهر الامتنان التى امتن بها الله جل شأنه على المجتمع الإسلامى بعد قيامه . فيقص القرآن الكريم مذكراً هذا المجتمع بتلك النعمة الكبرى التى أنعم بها عليه . وهى نعمة التعاون التى بلغت مداها حتى أصبحت العلاقة بين أفراده علاقة أخوة لا فى النسب ، وإنما فى القلب والإيمان وفى المحبة والمودة ، أى فى العلاقة الإنسانية الخالصة . فيقول : « واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ[1] » .

ولكى يبقى التعاون ذا أثر حيوى فى المجتمع فى المحافظة على بقائه وعلى قوته — يجب أن يكون تعاوناً فيما يؤدى إلى الأخوة الإنسانية ، وإلى صهر العلاقات بين الأفراد ، بحيث تكون علاقات مودة ومحبة . وذلك هو التعاون فى سبيل المصلحة العامة ، وفى سبيل الخير . والتعاون فى سبيل الخير والمصلحة العامة إنما يتأتى إذا ضعفت روح الفردية وضعفت سيطرة الأنانية ، وأصبح الشعور عند الفرد بحب الغير لا يقل عن الشعور بحب الذات نفسها . ولذا كان من وصايا الرسول ﷺ : « **لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه** » . وهى وصية قصد منها الرسول ﷺ أن يصفى النفوس من الحقد والكراهية والبغضاء ، حتى تكون بعد ذلك على استعداد لأن تتقبل الغير فى وجوده ، على نحو ما تتقبل نفسها فى الحياة .

---

(١) آل عمران : ١٠٢ .

ولكى يكون التعاون جماعياً — حتى تلبى حاجات الأفراد ، وحتى تحفظ حياتهم من الامتهان — لابد له أن ينمى الشعور بالمجتمع ، بحيث يعيش كل فرد لنفسه ومجتمعه .

وهنا دور التربية — سواء فى الأسرة ، أو فى المدرسة ، أو فى الحياة العملية — يجب أن يكون موجهاً نحو تقوية هذا الشعور بالمجتمع . إذ من السهل بعد ذلك أن يتكون فى سلوك الأفراد عادات تقوم على رعاية المصلحة العامة ، ورعاية الجوار بين الأفراد ، وعلاقات القربى فى النسب ، أو فى الغاية والهدف ، بجانب تلك العادات الفردية التى تتكون من فطرة الإنسان للمحافظة على ذاته وبقائه الخاص .

التعاون إذن تربية ، بعد إيقاظ الوعى بالغير وبالمجتمع . ومظاهره يجب أن تكون صادرة عن عمل العادة ، أكثر من صدورها عن دفع الاقناع المؤقت والعاطفة المؤقتة . وعندئذ يكون التعاون أمراً ميسراً على النفوس ، ومحبباً لديها . ولذا قرن القرآن الكريم طلب التعاون فى قوله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى» .. بطلب التقوى نفسها . وليست التقوى إلا تهذيب النفوس ، بحيث يكون من السهل على هذه النفوس المهذبة أن تتجنب المنكر البغيض أو المستقبح من التصرفات لتترك المجال للصالح من الأعمال .

وبهذا كله قوّم الإسلام مبدأ التعاون فى المجتمع ، ورسم الطريق إلى تحقيقه : جعله مبدأ ضرورياً لبقاء المجتمع ، فأمر به ، كما أمر بالتقوى ليكون أمره على النفوس ميسراً ومحبباً . ثم جعل اتجاهه إلى الخير والمصلحة العامة دون الاثم والعدوان : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ »[1] .

---

(١) المائدة : ٢ .

التعاون فى الاسلام انما يكون على الخير وحده :

فالتعاون الذى يراه الإسلام صاحب الأثر والإيجابية فى الترابط بين الأفراد هو التعاون على الخير وحده ، وفى سبيل المنفعة العامة التى تحفظ للأفراد كرامتهم وآدميتهم ، وتكفل للمجتمع تساندة وقوته . ويوضح ذلك قول الله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [1] » .. والتعاون على البر يكون دائماً بالعمل الإيجابى . والتعاون على التقوى يكون بالتجنب والترك . فالتعاون على الإيمان بالله ، وعلى تحرير الإنسان من الاذلال : إذلال الفاقة والحاجة ، وإذلال الانحراف فى التصور والاعتقاد ، وإذلال المرض — هو تعاون على البر وعلى الخير معاً ، وفى سبيل المنفعة العامة . والتعاون على تجنب الفحشاء والمنكر والبغى ، التعاون على ترك مايؤذى الأفراد فى أموالهم وأعراضهم ، أو يؤذيهم فى حرماتهم الشخصية ، ويؤذى المجتمع فى غاياته وأهدافه — هو تعاون على التقوى وعلى الخير معاً وفى سبيل المنفعة العامة .

وإذا وجد التعاون فى دائرتى العمل والترك سلم الأفراد من صور الضعف المختلفة : سلم الأفراد من الضعف الذى يملى ويفرض عليهم من الخارج ، وهو الضعف الذى يفرضه المستبد أو المستغل أو داعية الباطل ، وسلموا أيضاً من الضعف الذى يداخل نفوسهم ، وهو الضعف الذى ينشأ عن الشعور بالايذاء من الغير فى العرض أو المال ، أو الكرامة والحرية الشخصية ، ثم بعدم القدرة على دفعه .

وهنا إذا ماتحقق التعاون تخلص النفوس وتنطوى على الصفاء والمحبة ، وهنا تفكر العقول تفكيراً سليما ، وهنا يكون السلوك العملى سلوكاً مستقيما . وليست قوة الأفراد إلا فى صفاء نفوسها ، واستقامة تفكيرها وسلوكها . وما المجتمع القوى المتماسك البنيان إلا أفراد أقوياء بنفوسهم ، وقلوبهم ، وتفكيرهم ، وسلوكهم .

---

(١) المائدة : ٢ .

إن التعاون على الخير ، التعاون على البر والتقوى ، هو العامل فى إزالة الحقد أو فى إضعاف شأنه على الأقل بحيث لايكون له أثره فى الحياة الجماعية . إنه العامل فى إبعاد الغيبة والنميمة والوشاية والدسيسة من حياة الأفراد . لأن الإنسان لا يحقد على غيره إلا إذا نفس عليه وضعف عن أن يلحق به فى الحياة ، وفى الوقت نفسه لم ير منه يداً تمتد إليه . وإن الإنسان لايغتاب ، ولا ينم ، ولا يشى بغيره ، ولا يدس ويتآمر عليه ، إلا بعد أن تعجز طاقته البشرية أو تضعف إرادته عن أن تدفع به فى ذات الطريق الذى سار فيه غيره ، وإلى نفس المسافة التى قطعها فيه ، وإلا بعد أن يرى الفجوة فى علاقتهما قد وضحت مع ماتوجبه المشاركة فى الوطن أو الزمالة فى العمل ، أو علاقة القربى أو علاقة الجوار ، على ذلك الذى تقدم فى الحياة: من رعاية المتخلف عنه ومعاونته على أن يتغلب على الضعف فيه .

وإن هذه الصفات : من حقد ، وغيبة ونميمة ، ووشاية إن دلت على تخلف فى الحياة أو على ضعف أصحابها يحول بينهم وبين السبق فى مجال نشاط المجتمع ، إنها إن دلت على أن أصحابها يؤثرون النفاق والاستخفاء ، على الصراحة والعلن فى الحياة فإنها تدل قبل ذلك على أن المجتمع الذى تسود فيه هو مجتمع ضعيف لايقوى على البقاء طويلا ، فضلا عن أن يستطيع مواجهة من يعتدى عليه ورد اعتدائه ، إنها تدل على شيوع الفردية والأنانية ، إنها تدل على وجود حرب خفية بطيئة — ولكنها حرب مبيدة مهلكة — بين أفراد المجتمع الذى تشيع وتكثر فيه .

ولهذا فالاسلام عندما أعلن حرمة ارتكابها ونفر منها بقوله : « أيحبُّ أحَدُكم أنْ يأكُلَ لحمَ أخيه مَيتاً فكرهتموه [1] » — حض فى الوقت نفسه على التعاون المثمر الخير ، الذى من شأنه أن يخفف على الأقل من آثارها السلبية فى حياة المجتمع .

التعاون على البر والتقوى ، التعاون على صنوف الخير وعلى ترك أنواع

---

(١) الحجرات : ١٢ .

الإيذاء والفحشاء والمنكر ... هو الوسيلة لإنهاء هذه الحرب المدمرة المهلكة وهى حرب النفوس والعقول والقلوب. هو الوسيلة للمحبة والصفاء. هو الوسيلة للإنتاج الفكرى السليم، والعمل المستقيم. هو الوسيلة لابراز نشاط الإنسان الذى يتسم بطابع الإنسانية وطابع الخلود، ويكون أثره الخير أوسع نطاقاً يعم صاحبه ومن معه فى مجتمعه.

التعاون خير المجموع:

وعندما يقول الله سبحانه وتعالى: « وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَقْوى [1] »... يقصد إلى توصية جميع المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى، وهم من وجه إليهم الخطاب، فى صدر هذه الآية بقوله: « يأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله ». فالتعاون على البر والتقوى فى تعاليم الإسلام موصى به ومطلوب من الأفراد المؤمنين جميعاً. وهو لهذا لايراد به فقط أن يساعد الغنى بماله الفقير فى جماعته، ولا أن يعين العالم الجاهل على محو أميته الدينية، ولا أن ينقذ صحيح البدن معتل الصحة لمرض أو شيخوخة فى قومه، إبقاء على التضامن والتكتل. إنه عندئذ يكون إحساناً.

والبر فى هذه الآية هو إسداء الخير، أى خير. والتقوى هى اتقاء مايؤذى، وتجنب ما يضر فى صورة ما، بدليل قوله تعالى بعد هذه الجملة مؤكداً إياها: « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ».

والتعاون هنا فعل من طرفين وليس من طرف واحد. وبهذا يكون المسلمون جميعاً مكلفين من قبل الله سبحانه وتعالى: بالمشاركة فى البر والتقوى:

على العامل فى المصنع أن يسدى الخير ويتجنب الإيذاء فيما يصنعه لصاحب المصنع. عليه أن يتقن عمله وأن يزيد فى إنتاجه. وعلى صاحب المصنع أن يقدر عمله

---

(١) المائدة: ٢.

المتقن المنتج سواء فى أجره أو فى صحته ، والإسهام فى حل أزماته النفسية . وبهذا وذاك : يكون هنا تعاون بين الاثنين على البر والتقوى .

على المستأجر لأرض زراعية أن يسدى الخير ويتجنب الإيذاء فى استغلال الأرض التى يستأجرها من صاحبها . عليه أن يرعى نمو زراعته ودفع الآفات عنها . وعلى مالك الأرض أن يلحظ مستأجر أرضه الأمين اليقظ ، وأن لايثقل كاهله بما يجعله يعجز عن أن يعيش عيشة إنسان معه . وبهذا وذاك: يكون هنا تعاون بين الاثنين على البر والتقوى .

على العامل المكلف بنظافة الشارع أن يسدى الخير لرواده والساكنين فيه فيما تقضى به طبيعة عمله من تنظيف الشارع، وعليه أيضاً أن يتجنب إيذاءهم باتباع الرفق فى كسح ما بالشارع من أتربة أو مهملات . وعلى مرتادى الشارع أنفسهم وعلى الساكنين المطلين عليه أن يسدوا الخير إلى عامل النظافة ويتجنبوا إيذاءه بعدم إلقاء المتخلفات فى الشارع من مواد الأكل كمصاصة القصب وقشور اللب ، أو من عملية تنظيف المنزل أو المطبخ مما يضر العامل ويثقل كاهله ومما لايسر له مار بالشارع ومما يلوثه ويلوث منطقة الساكنين أنفسهم ويعود عليهم بالضرر الصحى قبل أن يفسد عليهم الذوق الإنسانى العام السليم وهو ذوق النظافة .

على المشترك فى حديث ما أن يسدى الخير — لمحدثه ولمن يتحدث عنه ، ويتجنب إيذاء أى واحد منهما : فلا يشير عليه إلا بما يعود عليه بالنفع ،ولا يتحدث عن ثالث بينهما إلا بما يصون عرضه ويدفع عنه إضرار التنقيص ، أو التشهير به أو الاعتداء عليه .

هذه بعض أمثلة للتعاون على البر والتقوى فيما طلبه الله وكلف به المسلمين . ليس بر الإسلام براً مادياً دائماً ، وليس الإيذاء الذى يطلب من المسلم الكف عنه إيذاء بدنياً وجسمياً دائماً . إن فى مقدمة أنواع البر الذى يطلب الإسلام من

المسلمين التعاون عليه لخيرهم جميعاً : بر النفوس والقلوب . وهو البر الذى يعود عليها بالرضاء والصفاء : التوسيع فى المجالس بر للنفوس والقلوب . والاعتذار بكلمة رقيقة عند الخطأ الصغير فى المعاملة بر للنفوس والقلوب . ورعاية حرمة الجار بر للنفوس والقلوب. واستعمال الألفاظ المهذبة بر للنفوس والقلوب . هذا من جانب، ومن جانب آخر : الغض من قيمة إنسان ما بإهمال مشاركته فى الحديث إن كان ثالثاً فى المجلس إيذاء للنفوس والقلوب . والتورية بشخص آخر إيذاء للنفوس والقلوب . والضحكة الملفتة للنظر عند مرور إنسان هو معرفة للذى قذف بضحكة فى الهواء إيذاء للنفوس والقلوب .

بل إن هذا النوع من البر، وهو البر النفسى، خير عند الله من البر المادى الذى يتصل بالبطن والمعدة . يقول الله تعالى : « قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى[1] ».. فجعل القول المهذب والصفح عند الخطأ خيراً من صدقة يتبعها من المتصدق مَنٌّ أو يتبعها جهر بها كالإعلان عنها فى الصحف . ذلك لأن النفس تستريح وتطمئن للقول المهذب وتشعر بالجميل عند مقابلة أخطائها بالصفح عنها . ثم هى فى حالة الصدقة المادية التى يلحقها مَنٌّ أو جهر بها ستحس بالألم النفسى عند ما تحاول أن تلبى بها حاجة المعدة . فالنفس والقلب فى تعاليم الإسلام لهما مكانة أوسع ، والقصد إليهما فى هذه التعاليم أقوى . لأن على صفائها تتوقف قوة الترابط والتكتل فى الجماعة الإسلامية .

يمتاز الإنسان بنفسه وقلبه عن الحيوان ، ويشارك هذا الحيوان فى معدته . فتعاونوا على صفاء النفوس والقلوب تصح المعدة وتخلو قلوبنا من الأحقاد والآلام النفسية . ولذا إذا صفت النفوس والقلوب وخلت من الأحقاد والآلام النفسية فلا يكون هناك إلا مجتمع خير سليم :

« وَتَعَاوَنُوا عَلَى البر وَالتَّقْوى، وَلا تَعَاوَنُوا على الإثم والعدوان واتقوا الله[2] » .

---

(١) البقرة : ٢٦٣ . (٢) المائدة : ٢ .

المجتمع الاسلامى

يقوم على رعاية الطبيعة البشرية للأفراد

فالمجتمع الإسلامى — بانتسابه إلى الإسلام — لم يخرج عن كونه مجتمعاً بشرياً، يتكون من أفراد لهم ميول فردية توحى بها طبائعهم، ككائنات حية لها من فطرتها غرائز مختلفة، بجانب ما تميزت به من قدرة على التفكير .

ودور الإسلام إزاء هذه الطبائع البشرية لايتعدى توجيهاً أو تهذيباً .لايتعدى حملها — عن طريق الاقناع والإيمان — على أن تحقق فى حياتها الخير والسلام . ولأن دور الاسلام لا يتعدى التوجيه أو التهذيب لطبائع الأفراد — فهو يعترف بما لها من ميول عديدة . لا يحاول أن ينكر واحداً منها أو يتجاهله . كما لايحاول أن يعمل على إفناء بعضها وإماتته حتى لا يظهر هذا البعض من الميول فيما بعد، فى أجياله القادمة . وإلا — لو حاول هذا أو ذلك — لكانت وظيفته تبديل خلق الله، وتحويل خصائصه . وليس ذلك من رسالة أى دين سماوى، فضلا عن أن تكون رسالة الإسلام .

ولهذا يقر الإسلام : ميل الإنسان إلى التملك، وميله إلى النسل، وميله إلى الاطلاع والمعرفة، وميله إلى الاجتماع . يقر الإسلام ميل الانسان إلى حب الذات وكذا ميله إلى مشاركة الغير مشاركة وجدانية . يقر الإسلام هذه الميول للإنسان، ويقر غيرها مما له من طبيعته .

ومن هنا لا يحرم عليه الملكية الفردية . ولكنه فحسب لا يتركه يتحكم عن طريق ما يملك فى إذلال غيره وامتهانه، أو فى حرمانه من حق الحياة، أو فى التضييق عليه فى العيش بوسيلة أو بأخرى. ولكى لايصير المؤمن بالإسلام،

أو لكى لا يندفع إلى هذا التحكم فى غيره عن طريق الملك — أيقظ الإسلام فيه روح البذل لغيره ، وحبب إليه المنح والإعطاء لصاحب الحاجة ، سواء أكان ذلك فى صورة فردية شخصية مؤقتة ، أم فى صورة عامة مستمرة ، كإقامة المؤسسات التى تكفل العمل لأصحاب الحاجة ، وفى الوقت نفسه تسهم فى زيادة رفع مستوى الحياة الاجتماعية . وقول الله تعالى : « يمحق الله الرِّبا ويُربى الصَّدقات[1] » .. يصور لنا مدى عناية الإسلام بتربية روح المنح للغير لدى الأفراد الأثرياء ، ومدى عنايته بالترغيب فى ذلك . فتصويره الصدقات — وهى إعطاء أو تنزيل وتنقيص حسى من رأس المال — بأنها إرباء أى زيادة فى رأس المال الذى أخرجت منه الصدقات، يحمل صاحب رأس المال على البذل بنفس راضية وبرغبة إنسانية فى الإحسان. إنسان بحكم فطرته كما يميل إلى الملك، يميل إلى تنمية مايملك . وزيادة رأس مال المتصدق ليست هى الزيادة الرقمية الحسية ، وإنما هى الزيادة باستمتاعه بماله ، والوقاية من شرور الحاسدين والحاقدين من المعوزين ، أو ممن هم أدنى منه فى اليسار والقدرة على دفع الحاجة .

والإسلام له — وراء هذه الصورة — فى الترغيب فى الإعطاء والمنح — صور أخرى. مرة يجعل هذا المال الذى هو بأيدى أصحابه مال الله فيقول: «وآتوهُم مِنْ مالِ اللهِ الذى آتاكُمْ »[2] . ويقول: «وأنفِقُوا مِما جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فيه »[3] ومرة يجعل النصيب الذى يعطيه صاحب المال للمحتاج إليه حقاً مشروعاً فى ماله الذى بيد مالكه . فيقول : « وفى أموالِهِمْ حَقٌّ لِلسائلِ والمحرُوم »[4] .

وهكذا لا ينكر الإسلام على الانسان حق التملك — لأن حب التملك فيه ميل طبيعى لاينكر — ولكنه ينكر عليه فقط أن يتحكم به فى حياة غيره فى صورة ما ، من صور التحكم .

---

(١) البقرة : ٢٧٦ .
(٢) النور : ٣٣ .
(٣) الحديد : ٧ .
(٤) الذاريات : ١٩ .

وكما لا يحرم عليه الملكية الفردية ، لا يحرم عليه النسل والرغبة فيه . وإنما يوجهه فحسب إلى أن يكون تحقيقه لهذه الرغبة عن طريق : « الزواج » .. لا عن طريق آخر . لأن ذلك أكرم بالانسان وأليق بالمنهج المستقيم فى الحياة ، وأوضح فى دفع الاحتكاك بغيره ، وأحفظ لمستوى الانسان ككائن له وحده شعور بالمسؤولية ، وله وحده تاريخ يسطر فيه حياته ، ويربط بين ماضيه وحاضره ومستقبله فيه ، وله وحده شخصيته واستقلاله فيها ـ وإن كان يدور فى إطار الحياة مع غيره فى مجتمعه ويجب أن يدور فيها معه .

ولكى يدفع الانسان إلى الارتباط بعلاقة الزوجة وحدها ـ عند ما يرغب فى النسل بدافع حب البقاء النوعى ـ يصور له هذه بأنها مصدر الاطمئنان النفسى من وجوه عدة فيقول: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة» .. وليس وراء اطمئنان النفس ، ومودة الانسان للإنسان سعادة أو متعة إنسانية حقيقية .

وكما لا يحرم الإسلام على الانسان حق الملك ، وحق النسل ـ لأنهما من فطرته البشرية ـ فإنه لا يحرم عليه الاطلاع والبحث والتفتيش عن المعرفة. ويوجهه فحسب إلى أن يستخدم معرفته التى يحملها ، فى سبيل الخير ، فى سبيل البناء والتعمير ، فى سبيل المعاونة ، فى سبيل دفع الأذى والمكروه ، فى سبيل رفع المستوى لمعيشة الإنسان ، وخلقه ، وصحته ، فى سبيل سلامه بدنه ونفسه ، وليس فى سبيل التدمير والاهلاك ، ولا فى سبيل التخريب والإيذاء .

* * *

ومعرفة الإنسان لا تكون خيرة إلا إذا عرف فى النهاية ربه وآمن به عن طريقها .. إلا إذا أدرك بها الكون ورب الكون معاً . إذ عندئذ فقط يضمن

أن يطيع الله فى توجيه ما حصله من معرفة الكون . وطاعة الله فى توجيه معرفة الانسان بالكون تتحقق باستخدام هذه المعرفة فى صالح الانسانية ونفعها ، وليس فى إزعاجها وإقلاقها . يروى عن ابن عمر عن النبي ﷺ : « **من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوا مقعده من النار** » .

لا يريد الاسلام بتوجيهه الإنسان إلا أن يهذب طبيعته ، ويحقق بنشاطه إنسانيته ، ويسعده باطمئنانه وبابعاد شبح الخوف ، حتى لا يسقط فيصبح حيواناً .

إن المجتمع الاسلامى ـ كما رسمه الاسلام ـ هو مجتمع إنسانى مهذب ، مجتمع إنسانى يسعى إلى الخير والسلام .

كيان المجتمع الاسلامى مبادىء وأرضه ليس فيها فواصل

كان محمد ﷺ رسول الإسلام ، وخاتم الرسل ، وقد اصطفاه الله سبحانه وتعالى لهذه الرسالة . وكان اصطفاؤه إياه لتبليغ رسالة الله ، آية لتقديره وعنواناً على رضائه عنه . ومع ذلك لم تحمل رسالة الإسلام نفسها فى تعاليمها وأوامرها ونواهيها ، وفيما توصى به — إلا ما يتصل بالمبدأ دون الشخص . وفى دعوة الإسلام إلى توحيد الله فى عبادته يقصد الإسلام أول ما يقصد : إلى إحلال اعتبار المبادىء محل اعتبار الأشخاص ، مما كان سائداً فى عقيدة الشرك والوثنية قبل بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام .

والإسلام يقدر الشخص ، بقدر ما يتصل فى اعتقاده وإيمانه بمبادىء الإسلام ، وبقدر ما ينهج فى سلوكه وفق المعالم التى حددها للطريق المستقيم فى سلوك الانسان . وقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .. يوضح أن منزلة الفرد فى تقدير الاسلام لا تتصل بنسبه ، ولا بالصفات الجسمية التى تحدد شخصيته ، ولا بما له من خصائص فى قوى إدراكه وتصوره وتميزه عن غيره .

وإنما فحسب بمدى ما تنفعل نفسه بالمبادىء وتتصرف طبقاً لها . فصاحب التقوى هو ذلك الفرد من الانسان الذى آمن بالله ، وبما اشتملت عليه رسالة الاسلام من مبادىء ، وأطاعها فى سلوكه الفردى ، وفى علاقاته مع غيره فى المجتمع . وكلما كان قريباً منها فى تصرفاته ، وفى أفعاله كلما كان متفوقاً على غيره فى تكريم الله إياه . وعندما أراد الله سبحانه وتعالى أن يقدر رسوله ﷺ قدره بقرب اتصاله فى سلوكه وأفعاله بالقرآن ، فقال : « وإنك لعلى خُلُق عظيم[1] » .

---

(١) القلم : ٤ .

وشرحت ذلك عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فأجابت : « كان خلقه القرآن » .

وكيان المجتمع الإسلامى — لأنه يقوم على رسالة الإسلام وهى رسالة المبادىء — هو كيان مبادىء ، وليس كيان أشخاص فى وقت معين وفى جيل خاص . ولذلك أرضه ليس فيها فواصل مما تحس وتشاهد ، ومما اعتاد الإنسان أن يفرق بها بين قوم وآخر ، وأرضه لا تعرف الأنهار والجبال ، ولا تعرف الأجناس والقبائل ، ولا تعرف فرقة اللون واختلاف اللغة ، ولا تتخذ من بعضها أو منها كلها حواجز تفصل بها بين فريق وآخر ، طالما هم جميعاً يؤمنون بمبادىء الاسلام ، ويطيعونها فيما يسلكون سلوكاً خاصاً أو عاماً .

إن مبادىء الاسلام وحدها هى التى تظلل المسلمين ، وهى التى تجمع بينهم ، وهى التى تصبغ مجتمعهم وتطبعه بطابع خاص يتميز به عن مجتمع آخر . ومن عبادة الله وحده ، إلى طلب دفع سيطرة الأنانية ، إلى التعاون والاخاء فى العلاقات ، إلى الرغبة فى السلم والاستقرار ، إلى اتخاذ العدة لدفع الاعتداء ، يتكون الاطار العام الذى يدور فيه فلك المجتمع اسلامى .

ولأن كيان المجتمع الاسلامى هو كيان اعتبار المبادىء قبل اعتبار الأشخاص — كان أدعى إلى البقاء والاستمرار ، وكان أقرب ما يكون إلى الاستقرار . فآفة المجتمعات الانسانية ، وأسباب اهتزازها والانقلاب فيها : أن تنزل أفرادها بإيمانهم وتقديرهم إلى الأشخاص وحدهم دون اعتبار لما بين هؤلاء الأشخاص والمبادىء من صلات وعلاقات . وعندئذ يتحول نشاطهم إلى فرقة واختلاف وبالتالى يتحول مجتمعهم إلى شيع وطوائف ، ومن ثم يفنى المجتمع أو يذوب فى مجتمع آخر .

إن الإسلام عندما أقام مجتمعه على مبادىء ، وجعل أهدافه تحقيق هذه

المبادىء — رسم للإنسان فى الوقت نفسه طريق الاستقرار ، بجانب ما رسم له من توجيه يصل به إلى الإنسانية . أما الاستقرار فلأنه لم يربطه فى حياته بشخص معين هو عرضة للضعف فى أية صورة ، ثم أخيراً هو عرضة للفناء . ولم يربطه بكائن محس ينال منه الزمن ، أو تنال منه الأحداث فتشوه معالمه أو تزيل وجوده . وإنما ربطه بالمبادىء وهى لا تفنى بحال ، طالما للإنسانية وجود فى صورة إنسان ما . وأما التوجيه الذى يصل بالإنسان إلى الإنسانية المهذبة فلأنه لم يجعل هدفه فى الحياة تحقيق رغبات تتغير بتغير الأشخاص فى جيل ، ويميل إليها الإنسان فى آن ، ويعف عنها فى لحظة أخرى ، لأنه لم يجعل هدفه فى الحياة تحقيق شهوات النفس ، وهى لا تحد ، وفى الوقت نفسه موقوتة بالميل والهوى . وإنما جعل المبادىء هى المثل التى يسعى إليها الانسان ، وتجد فى الانفعال بها ، وفى طبع حياته بآثارها ومظاهرها .

كيان المجتمع الاسلامى مبادىء ، وأرضه ليس فيها فواصل والمسلم هو من طبعت حياته بالايمان بمجتمعه وبمبادئه ، وهو من تهذبت نفسه وسعى إلى أن يكون إنساناً فيما يعمل وفيما يتصرف .

المجتمع الاسلامى لغته العربية

نزل القرآن الكريم بلغة العرب . فقال تعالى : « كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[1] » .. وقال تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[2] » .. وقال تعالى : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[3] » .. فكان نزوله باللغة العربية تكليفاً ضمنياً للعرب بأن يؤدوا رسالة الإسلام ، ويحملوا مشعلها ، ويتحملوا فى سبيلها الصعاب والمشاق . ويكون لهم من وراء ذلك كله مجد هذه الرسالة . وهو مجد يتصل بالانسانية وبسيادة خصائصها فى التهذيب والسلوك بين الناس جميعاً . ولم تختر لغة العرب لغة الاسلام لأن لها خصائص فى تراكيبها ومدلولاتها . ولكن لأن محمداً العربى رسول الله ، ولأن مكة فى موطن العرب ، أول بيت وضع للناس ، فيه مقام إبراهيم . وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى محمداً ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولا راد لاصطفائه ، وخص مكة لتذكر بالرسالة الإلهية فى صورتها الأولى ، وهى رسالة إبراهيم عليه السلام . ومصلحة البشر أن تكون أخرى الرسالات مذكرة بأولاها ، حتى يكون فى ذلك إعلام للبشرية بأن رسالة الله مهما تعددت الرسل ، وتعددت مواطنهم ، فهى فى جوهرها واحدة ، تعبر عن إرادة واحدة هى إرادة الله ، وعن منهج واحد هو المنهج المستقيم للبشرية ، وعن غاية واحدة هى غاية الإيمان بالله خالق الكون كله .

ومن أجل هذا كانت العربية لغة الإسلام ، وكان العرب هم أول دعاته . وفضلهم على غيرهم أنهم كانوا الطليعة فى سبيل الدعوة إليه ، وأنهم الذين مهدوا بدمائهم ، وبأموالهم ، وبالهجرة من ديارهم لنصر هذه الدعوة واستمرارها وانتشارها .

وعلى المسلمين فى جميع بقاع الأرض أن يتعلموا العربية ليفهموا القرآن ،

---

(١) فصلت : ٣ .
(٢) يوسف : ٢ .
(٣) الزمر : ٢٨ .

وليقفوا على تعاليمه ، ثم ليزدادوا إيماناً على إيمانهم باتصالهم المباشر بالقرآن ، ومن وراء ذلك اقتراب بعضهم من بعض فى لغة التفاهم ، كما اقتربوا من قبل فى إيمان القلوب ، وفى خطوط السلوك فى الحياة ، وفى الهدف الأخير منها .

ومن أجل ذلك إذا ما نقلت معانى القرآن الكريم إلى لغة غير اللغة العربية فإن يسر التفاهم على المسلمين غير العرب فى القيام بتكاليف الإسلام وفهم تعاليمه ، فإنه سيبقى على فرقتهم فى التفاهم ، بينما هم على وحدة فى الإيمان والاعتقاد . وقوة المسلمين تدعو إلى أن تكون لغتهم واحدة على نحو ما هم عليه من دين ، وما لهم من سلوك موحد فى العبادات ، والمعاملات ، وفى منهج الأسرة ، ومنهج العلاقات بينهم وبين غيرهم فى المحيط الدولى العام .

ومن هنا كان الحرص على أن يتعلم المسلمون غير العرب . العربية أولى من نقل القرآن إلى لغاتهم ، أو إلى لهجاتهم العديدة . ومن هنا أيضاً كان على العرب — ولم يزل عليهم حتى الآن وبعد الآن — أن يسعوا فى أن يعلموا اللغة العربية وينشروها بين المسلمين الذين لا يتكلمونها . وهو واجب عليهم من دينهم أولاً وبالذات قبل أن يكون واجباً عليهم من انتسابهم إلى هذه اللغة . وإذن هناك واجبان : واجب على المسلمين غير العرب : أن يتعلموا اللغة العربية . وواجب على العرب أنفسهم : أن يعلموا هذه اللغة ، وييسروا أمرها على غيرهم من إخوانهم فى الدين والإيمان .

وبهذا تكون للعرب فى وقتنا الحاضر رسالة لا تقل أهمية عن رسالتهم فى الماضى . كانت رسالتهم فى الماضى أن يدافعوا عن الإسلام وتعاليمه ، ويدفعوا بها إلى بقاع العالم المختلفة . وعليهم الآن أن يدافعوا عن العربية فيقوموا لسانها ويعيدوها إلى أصلها الفصيح ، ثم يدفعوا بها إلى المسلمين فى أى مكان كانوا .

إن اللغة العربية بحملها رسالة الإسلام ، وتعبيرها عن قيمه أضافت إلى نفسها

قيمة وقوة أخرى . أضافت إلى نفسها أنها لم تعد لغة محلية ، بل أصبحت بذلك لغة عالمية ، هي لغة العالم الإسلامي . وأضافت لنفسها أيضاً ما الدين والعقيدة من قوة ، وما لهذه القوة من استمرار وبقاء .

وهنا للعرب جميعاً أن يفخروا بلغتهم . كما للمسلمين منهم أن يفخروا بدينهم وإيمانهم . إن اللغة العربية في تعليمها ونشرها أصبحت رسالة . وإن على العرب وحدهم أداء هذه الرسالة . والمسلمون في شتى بقاع الأرض بعد ذلك سيدينون لهم بالفضل ، كما دانوا لأسلافهم من قبل بفضل حملهم لرسالة الإسلام والدفاع عنه ، والعمل على بقائه خالداً إلى أن يبعث الناس .

وإذا كان بعضنا الآن يتحمس إلى نقل القرآن إلى لغة أخرى غير اللغة العربية ليسر على المسلمين أمر دينهم — فربما تكون الضرورة أشد في تعليم اللغة العربية ونشرها بين المسلمين غير العرب . إذ بجانب تيسير أمر الدين ، تقريب التفهم والمفاهيم بين المسلمين جميعاً ، عرباً وغير عرب : «إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (١)» . والأمة الواحدة هي ما اجتمع لها وحدة اللسان ووحدة القلب .

---

(١) الأنبياء : ٩٢

المجتمع الاسلامى فى علاقته بالمجتمعات الأخرى

إذا دعا الاسلام إلى أن يكون مجتمعه مجتمعاً قوياً ذا شخصية مستقلة وذات سيادة ، ودعا إلى أن يكون أفراده أقوياء فى إيمانهم بالله وبالقيم العليا فى حياتهم الإنسانية ، وإلى أن يكون ولاؤهم أولا وبالذات إلى بعضهم بعضاً : «وَالمؤمِنُونَ والمؤمِنَاتُ بَعْضُهم أوْلِيَاء بَعْض [١]» .. وإلى أن تكون طاعتهم لولى الأمر من بينهم — إذا دعا إلى هذا أو إلى ذاك فإنه لايدفع بطريق مباشر أوغير مباشر إلى أن يكون المجتمع الإسلامى فى خصومة أو فى احتكاك أو فى عداء مع المجتمعات الأخرى ، ولايدفع أيضاً إلى أن يكون أفراده المؤمنون بالله والأوفياء لمبادئه : أعداء أو خصوماً لأفراد المجتمعات الأخرى .

إنه إذ يقول : « لاَ يَنْهَاكُم الله عن الذِينَ لم يُقَاتِلُوكم فى الدين ، ولَمْ يُخرِجُوكم مِنْ دِيارِكُم أن تبرُّوهم وتُقسطوا إليهم ، إنَّ الله يُحِبُّ المُقسِطين [٢]» .. فيدعو المؤمنين إلى بر الذين يخالفونهم فى الإيمان والاعتقاد ، وإلى أن يكفلوا لهم العدل ، طالما لم يقاتلوهم ولم يحملوهم على مغادرة ديارهم من أجل دينهم وتمسكهم به ، أى طالما لم يقع منهم اعتداء على الأرواح ، أو أذى يدفعهم إلى التشرد وترك مالهم من أسر وأموال وعلاقات بموطن نشأتهم .. إن الإسلام إذ يطلب من المؤمنين به : ذلك لايرضى إطلاقاً عن أن يبدأ المسلمون مخالفيهم فى الإيمان والاعتقاد بالخصومة ، فضلا عن أن يرضى عن أن يكون منهم اعتداء عليهم ، أو يقع بينهم احتكاك بسببهم هم أنفسهم .

إن الإسلام إذ يقول كتابه الكريم : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنَّا بالذى أنزلَ إلينَا وأنزِل إليكُم ، وإلهنَا وإلهكم واحد ، ونحنُ لهُ مُسلمون [٣]» .. لا يطلب من المؤمنين به

---

(١) التوبة : ٧١ (٢) الممتحنة : ٨
(٣) العنكبوت : ٤٦

إلا أن يكونوا مسالمين لأصحاب الرسالات الإلهية ، ذوى أسلوب مهذب فى النقاش معهم ، وأصحاب منطق فى الحجة التى يدلون بها إليهم . ولكنه يطلب من المؤمنين به ذلك مع غيرهم طالما لايكون من هؤلاء ظلم . وإلا فيطلب من المؤمنين أن تكون صلاتهم عندئذ «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ[1]» .

إن الإسلام إذ يقول قرآنه المجيد : « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا ، اعدلوا ، هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ[2]» .. فيأمر المسلمين بأن لايتأثروا بما يقع عليهم من مخالفيهم فى الإيمان والاعتقاد من ظلم وعدوان فى توفير العدالة وكفالتها للذين لم يباشروا معهم الاعتداء، ويشدد فى الأمر بالعدل بينهم بهذا التعبير : « اعدلوا . . هو — أى العدل — أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون » .. إن الإسلام إذ يطالب ذلك على هذا النحو يريد للمسلمين أن يكون سلوكهم فى الحياة مع غيرهم هو سلوك الإنسان الذى تهذبت غرائزه وروضت طبائعه الأولى ، ولكنه الإنسان الذى لم تمت فيه غرائز الدفاع عن النفس ، والمحافظة على البقاء ، والسعى فى الحياة.. ولكنه الإنسان الذى يعيش للقيم العليا ، ويرى من رسالته : أن يحمى قيامها وبقاءها.

ليس الإيمان القوى الذى يطالبه الإسلام من أتباعه على نحو ما يرويه هذا الحديث النبوى الشريف : « المؤمن القوى خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف » .. هو الدفع إلى الاعتداء على غير المسلم ولا هو قوة التحرش به . إنما هو دفع فى طريق الخير والسلام . . دفع إلى تحقيق خصائص الإنسانية ومثلها العليا . . دفع إلى تحصيل قوة الروح والبدن والتوجيه .

إن التعصب للإسلام لاينطوى بحال على التعصب ضد غيره من الأديان السماوية.

---

(١) الفتح : ٢٩ (٢) المائدة : ٨

إنه التمسك بمبادئه. ومن مبادئه: «وإن جَنَحُوا للسَّلم فاجْنَح لها وتوكل عَلى الله[1]».
ومن مبادئه ما نصت عليه الآيات السابقة فى معاملة المسلمين لغيرهم. وهى معاملة تنطوى على التهذيب فى النقاش، وحسن العشرة فى الجوار والمقام. ومن مبادئه كفالة الحرية فى الاعتقاد: «لا إكرَاه فِى الدين قَدْ تَبين الرشْدُ مِنَ الغَى[2]».
ولكن من مبادئه أيضاً: «فَمَن اعتَدَى عَليكم فَاعتَدُوا عَليه بِمثل مَا اعتَدَى عَليكم[3]».

ولأن التعصب للإسلام قد فهم خطأ، أو حاول بعض الشارحين له أن يحملوه على غير وجهه — قامت دعوة أخرى تدعو إلى: «عدم التعصب». وقد فهمت هذه الدعوة أيضاً خطأ: فهمت على عدم الاهتمام بالإيمان بالإسلام وبمبادئه. أو فهمت على طلب رفع الإيمان بالإسلام من حياة المسلمين، وبالأخص فى علاقاتهم مع غيرهم.

وتلك دعوة — بهذا الفهم — لا تقل ضرراً عن ضرر التعصب للإسلام بمعناه الخاطىء. هى ضرر على حياة المسلم وعلى علاقته بغيره. إذ أنها ستفرغ حياته من الإيمان بالله وتدعها عرضة لتقبل فكر ومبادىء، لا تلبث أن تتغير بتغير المؤثرات التى تدفعها وتوحى بها. وحياة تقبل اليوم توجها، وغداً توجهاً آخر، وحياة مجتمع يختلف أفراده فى قبول التوجيه — لا تكون الحياة التى يسعى فيها الإنسان دائماً إلى تحقيق المثل العليا. وما المثل العليا إلا تلك الرواسى التى ترسو عليها الحياة الانسانية السليمة. وما الحياة الانسانية السليمة إلا التهذيب، والخير، والسلام.

الإسلام ينادى بالقوة فى كل جانب من جوانب الحياة، ولكنه يكره القوة إذا استخدمت فى الظلم، والاعتداء. والتعصب ضد الغير: ظلم واعتداء.

---

(1) الأنفال: ٦١
(2) البقرة: ٢٥٦
(3) البقرة: ١٩٤

المجتمع الإسلامى ليس مجتمع طوائف

يقول القرآن الكريم : « وأنَّ هذا صِراطى مُستقيما فاتبعُوه ، ولا تتبعُوا السُّبل فتفرق بكم عن سبيله[1] » . بهذه الآية يحرص الله جل شأنه على أن يكون المجتمع الاسلامى — كما هو ذا غاية واحدة ، — ذا سبيل واحدة ، وذا طريق واحد إلى هذا الهدف ، ويحذر المؤمنين من الفرقة التى تؤدى بالمجتمع إلى طوائف ، وهى تلك الفرقة التى تجعل من الأفهام للقرآن الكريم ، ولتعاليم الإسلام ، مذاهب يتعصب إليها التابعون لها ، ويؤثرون الطاعة لها على طاعة القرآن نفسه . وبذلك يتوزع المجتمع إلى مجموعات : كل مجموعة لا ترى الحق إلا فيما تتبعه ، وتخاصم المجموعات الأخرى فى سبيل الدفاع عنه . وعندئذ تكون طاعة كل مجموعة فى واقع الأمر هى الطاعة لإنسان ، هو ذلك الامام للمذهب . وينزل المجتمع حينئذ إلى مجال الشخص والخاصمة فى أمره ، بعد أن رفع الاسلام المؤمنين به إلى مافوق مستوى الأشخاص : إلى المبادىء ، إلى الله جل شأنه الذى هو مجمع كل كمال ، ومركز المثل الرفيعة كلها .

وعندما يتوزع المجتمع الإسلامى إلى مجموعات ، وتتبع كل مجموعة إمام مذهبها ، وتتعصب له لا تحيد عنه معتقدة أنه يمثل الحق وحده ، وأنه مرآة الإسلام الذى جاء به الوحى وبلغه الرسول ﷺ ؛ عندئذ يكون المجتمع قد سلك سبلا أخرى غير سبيل الله ، التى حذر من سلوكها بقوله : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

والطائفية ، وإن كانت ظاهرة انسانية تطرأ على المجتمع ، وتسود إذا ما ارتبط الإنسان بالإنسان فيه ، وآمن به إيمانا يرفعه عن الخطأ ويجعله فى مستوى العصمة

---

(١) الانعام : ١٥٣

إلا أنها ظاهرة تدل من جانب آخر على ضعف المجتمع نفسه ، وعلى ضعف تفكير التابعين ، وفى الوقت ذاته على ضعف إيمانهم بالقيم العليا التى يمثلها الدين أو نظام المبادىء فى الحياة .

واختلاف أفراد المجتمع فى فهم تعاليم دينهم ، أو فى فهم نظام المبادىء الذى ارتضوه لحياتهم ، هو أيضاً ظاهرة تطرأ على المجتمع ، ولكنها ظاهرة سليمة ، وأمارة على حيوية الأفراد ، طالما هم لا يدفعون أنفسهم عن طريق الاختلاف فى الفهم إلى النزول فى مجال الطائفية والتعصب فى غير احتياط لتلك الأفهام المختلفة ، بحيث يكونون فرقاً وطوائف ، وتكون أفهامهم مذاهب وطرقاً واجبة الاتباع .

ولأن الإسلام يقر اختلاف الأفهام ، بل يدفع الأفراد المؤمنين به إلى الفهم والتفقه ، ولأنه من جانب آخر لا يقر الطائفية ولا الفرقة على أساس من اختلاف الفهم ؛ رسم الطريق إلى وحدة الأمة إذا ما اقترب اختلافهم فى الفهم إلى أن يكون فرقة ، وإذا ما اقترب أمرهم فى مجتمعهم إلى أن يكون طائفية . رسم الطريق فى قوله تعالى : «وأَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرسولَ وأولى الأَمرِ مِنكم ، فإنْ تنازَعتم فِى شىء فردُّوه إلى اللهِ والرسولِ إنْ كنتُم تؤمِنُون باللهِ واليوم الآخر ..» .. فأوجب طاعة الله فى قرآنه ، وأوجب طاعة الرسول فى قوله ، وفى عمله مما يعد توضيحاً لكتاب الله ، ثم علم أن سيكون منهم حتماً اختلاف فى فهم قول الله ، وقول رسوله ، وفيما عساه يدل عليه عمله عليه الصلاة والسلام ، ولكنه حذر فقط أن يدخل هذا الاختلاف منطقة التنازع بينهم . والتنازع لا يكون الا إذا كانت هناك مشادة فى الجدل ، وعنف فى الأخذ والرد . وهذه المشادة ، وهذا العنف إن دلا على شىء فإنما يدلان على التعصب الذى لا يقبل التفهم والذى لا يعرف المرونة . ولذلك قال : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى

الله والرسول» .. أى ردّوه إلى كلام الله ، وإلى قول الرسول وتطبيقه لهذا القول فى حياته العملية ، ولا تقفوا به عند حد الآخرين بعد الله ورسوله ممن اختلفوا فى الفهم والتأويل .

ولم يكتف القرآن الكريم بأن يرسم الطريق للمؤمنين لتجنب التنازع والتعصب، ولتجنب أن يصير المجتمع إلى طوائف وفرق وشيع ، على نحو ما رسم هنا . وإنما حذر المؤمنين من فناء مجتمعهم أو على الأقل من ضعفه ووهنه ، إذا هم أصبحوا طوائف وفرق ، تبعاً لاختلافهم فى الفهم والمذهب. فقال : «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» .. «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» .. إذ ما ناشده القرآن هنا من الاعتصام بحبل الله،هو البقاء فى دائرة كتاب الله ، وسنة رسوله ، وهو ما أوجبته الآية الأخرى : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

هذا كتاب الله يحدد إطار المجتمع الإسلامى . هو لا يريده مجتمع طوائف ولا فرق . هو لا يريده مجتمع مذاهب ولا عصبيات . هو يريد للمجتمع الإسلامى أن يحتفظ بوحدته ، وبقيادته فى التوجيه ، فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله . إن مجتمع الطوائف فى نظر الإسلام أشبه بمجتمع الشرك والوثنية . إذ الشرك هو تقديس غير الله ، كائناً ما كان ، مع الله . والوثنية هى عبادة المحس والمشاهد مما خلقه الله إنساناً أو غير إنسان . والله جل شأنه وحده هو الذى يقدس ، وهو الذى يعبد ، لا غيره من مخلوقاته ، مهما ارتقى فى نوعه ، أو ارتفع فى تهذيبه .

المجتمع الاسلامى ليس مجتمع طبقات

إن رسالة الإسلام — التى قام على أساسها المجتمع الإسلامى — تتجه فى تعاليمها ومبادئها إلى تعريف أفراد المجتمع : ما هى الإنسانية ؟ وما هو المستوى الفاضل الذى يجب أن يكون عليه الإنسان ؟ وما هى القيم التى يجب أن يسعى إليها الإنسان فى حياته؟ كما تتجه بعد ذلك إلى حمله — عن طريق الإقناع والإيمان — على السلوك الإنسانى الرفيع . وليس فيما اتجهت إليه تعاليم الإسلام ومبادؤه تقويم شىء وراء الإنسانية منهجاً وتطبيقاً . ليس فيها تقويم شرف النسب لأنه نسب شريف ، وليس فيها تقويم المال لذاته ، وليس منها تقويم الجاه المستمد من سلطة ، أو من قوة العصبية القبلية .

لذلك عندما قامت الدعوة الاسلامية ، دعت إلى تحرير الإنسان من أثر العوامل التى أوجدت حواجز وفواصل بين الأفراد ، وخلقت منهم مجموعات وطبقات . دعت إلى إلغاء الاعتزاز بشرف النسب ، وثراء المال ، وسلطة الجاه . ووضعت جميع الأفراد المؤمنين فى المجتمع الذى تكون منهم ، وضعاً متساوياً أمام الله ، وأمام تعاليم الرسالة ، وهيأت لهم جميعاً فرصاً متكافئة فى السعى فى الحياة . وتفاوتهم بعد ذلك ، حسبما تدفعهم استعداداتهم ويدفعهم إيمانهم :قوة وضعفاً .

والمجتمع الإسلامى — لذلك — ليس مجتمع طبقات . أى ليس مجتمعاً يقوم على تفاضل فى الوضع الاجتماعى ، حسب الطبقة التى ينتسب إليها الأفراد ، ليس مجتمعاً يقوم على تحكم عنصر الشرف فى النسب أو عنصر الثراء ، أو عنصر الجاه — إذ كل ذلك: عنصر غريب عن خصائص الإنسانية بعيد كل البعد عن ذات البشرية — فى تقويم الأفراد ، وفى وضعهم من أجل ذلك فى منازل مختلفة فى النظرة والاعتبار .

ولكنه أولا وأخيراً مجتمع بشرى ، يتميز أفراده فيما تميزت به البشرية نفسها بالسلوك المهذب ، وهو السلوك البعيد عن الاعتداء بالإدراك المستقيم ، وهو الادراك الذى يحكم الأنانية فى فهم الحياة ، وبالقلب العامر بمحبة الغير ، وهو القلب الذى يؤمن أولا بالله : « **ان الله لا ينظر الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم** » .. أى لا يعتبر الجانب المادى فى حياتكم وهو ما يرى فى صوركم من مظاهر الشرف فى النسب ، أو مظاهر الجاه عن طريق ثراء المال أو السلطة . وإنما يعتبر شيئاً آخـــر وراء ذلك فى التمييز فى المنزلة بين فرد وآخر . يعتبر « القلب » . ويكاد يكون القلب هو مركز المفارقة بين الإنسان وغير الإنسان فى الكائنات التى لها النمو والحركة . هو مكان البغض والمحبة ، ومكان الحقد والغبطة ، ومكان العطف والمودة ، أو الصد والنفرة .

ولا يعرف للحيوان بغض ومحبة ، ولا حقد وغبطة ، ولا عطف ومودة أو صد ونفرة . وإنما الذى يعرف له غرائز تدفع ، نحو الاتجاهات لا تخالف فيها . تعرف له غريزة الميل إلى البقاء ، تحركه نحو ملء الجوف بما يساعد على البقاء حياً ، ونحو رد غيره ، مما يحاول مشاركته فيما وجده لغذائه . لا يعرف قريباً أو بعيداً فى أسرة له . ولا عدواً ولا صديقاً بين معاشريه . وإنما الكل سواء ، فى دفعه إياهم وردهم عن مشاركته فيما حصل عليه لغذائه . تعرف له غريزة النسل — وهى فصيلة من غريزة الميل إلى البقاء — تدفعه إلى الاستمرار فى الإنتاج من ذكر وأنثى . ولكن الحيوان وأنثاه لا يفرق كلاهما فى هذا الإنتاج بين قرابة وأولى رحم ، ولا بين علاقة وعلاقة فى المعاشرة . وإنما يدفع كلاهما دفعاً إلى الإنتاج . كما يدفع إلى ملء الجوف سواء بسواء . والمادة — وليس القلب — هى التى تعبر بعض التعبير فى نوع الدفع قوة وضعفاً ، وليس فى ذات الاتجاه الذى يدفع فيه .

وإذا امتاز الإنسان بالقلب ، تميز بناء على ذلك بالإيمان بالله ، والإيمان بنفسه كإنسان ، والإيمان بالإنسانية كنوع من المخلوقات متميز فى طبيعته وفى خصائص هذه الطبيعة . وما يفضل به الإسلام فرداً عن فرد فى المجتمع إذن ، هو ما يفضل به إنسان عن إنسان فى معنى الإنسانية وحدها ، دون شيء طارىء عليها وعارض لا يتصل بها .

وإذا قالت الآية الكريمة : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .. تريد أن تنقل معيار التميز بين الأفراد إلى ما يتصل بإنسانيتهم وحدها ، التى يتجلى فى سلوكهم ، وهو ذلك السلوك الذى يصدر عمَّا فى القلب من إيمان ومحبة ، أو عمَّا فيه من بغض وحقد ونفرة .

وتفضيل الإسلام بين الأفراد على أساس من خصائص الإنسانية ، لا يعنى أنه يوجد فواصل فى المجتمع وإن كان على أساس آخر . وذلك يخلق نوعاً جديداً من الطبقة ، ومجتمعه إذن مجتمع طبقى . لا يؤدى صنيع الإسلام فى التفضيل بين الأفراد إلى الطبقية . لأن الطبقية هى التميز فى الوضع الاجتماعى على أساس أرستقراطى أو رأسمالى . وسواء أكانت الأرستقراطية ، أرستقراطية الشرف فى النسب أو أرستقراطية المال والسلطة ، أما التميز بين الأفراد على أساس من معانى الإنسانية وحدها — بعد أن ترفع العقبات الطبقية من طريقهم جميعاً ، وبعد أن تهيأ لهم فرص متكافئة نحو التنافس فى تطبيق معانى الإنسانية فى سلوكهم وفى نظراتهم إلى الحياة — فتلك سنة الطبيعة ، وقانون الحياة .

وكما لا يوجد إطلاقاً مجتمع إنسانى ، يتساوى أفراده فى الحركة فى السير ، وفى الفهم ، وفى الذكاء — كذلك لا يوجد مجتمع لا يتميز أفراده فى العواطف

الانسانية : البغض والمحبة ، والحقد والمودّة ، ولا يتميز فى الإيمان بالإنسانية والأخوة فيها .

الطبقية انحراف فى تكوين المجتمع وفى علاقات أفراده بعضهم ببعض ، والتميز بين الأفراد على أساس من خصائص الإنسانية : سنة الطبيعة فى قيام المجتمع وفى استقراره . وكلما سلك الأفراد سلوك المهذبين المحبين المتعاطفين ، كلما كانوا أكثر استقراراً أو اطمئناناً . والدين وحده هو مصدر الدفع إلى التهذيب والتحاب والتعاطف .